وكان الناس يبايعون يزيد بن المهلب وكانت مبايعته على كتاب الله وسنته وكان
الحسن البصري رضي الله عنه يثبط الناس عن يزيد بن المهلب فقال يوما في مجلسه يا
عجبا لفاسق من الفاسقين ومارق من المارقين عمر برهة من الدهر يهتك الله في هؤلاء
القوم كل حرمة ويركب فيهم كل معصية يأكلون ما أكلوا ويقتل من قتلوا حتى اذا منعوه
لماظة كان يتلمظها قال انا لله غضبان فاغضبوا ونصب قصبا عليها خرق وتبعه همج
رعاع هباء ما لهم أفئدة فقال ادعوكم الى سنة عمر بن عبد العزيز الا ان من سنة
عمر بن عبد العزيز ان توضع رجلاه في قيد ثم توضع حيث وضعه فقال له رجل تعذر أهل
الشام يا أبا سعيد يعني بني أمية فقال انا أعذرهم لا عذرهم الله والله لقد حدث ابن عباس
رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اللهم اني حرمت المدينة بما حرمت به
بلدك مكة فدخلها أهل الشام ثلاثا لا يغلق لها باب الا احرق بما فيه حتى ان الاقباط والانباط
ليدخلون على نساء قريش فينتزعون خرصهن من آذانهن وخلاخلهن من أرجلهن وسيوفهم
على عواتقهم وكتاب الله تحت أرجلهم ان قيل بفاسقين تنازعا هذا الأمر والله لو
وددت ان الأرض أخذتهما خسفا جميعا فبلغ ذلك يزيد بن المهلب فأتى الحسن هو وبعض بني
عمه الى حلقته في المسجد متنكرين فسلما عليه ثم خلوا به فاستراب الناس ينظرون اليهم فلما
يزيد ورفض فجاء حتى جاهما ابن عم يزيد فقال له الحسن وما انت وذاك يا ابن اللخناء فاخترط
سيفه ليضربه به فقال له يزيد ما تصنع قال اقتله قال له اغمد سيفك فوالله لو فعلت لانقلب
من معنا علينا قلت ويزيد بن المهلب المذكور هو الذي عناه ابن دريد في مقصورته الموسومة
بالدريدية بقوله

ودق سما قبلي يزيد طالبا   شأو العلى فما وهى ولا ونى

وكل من شرح الدريدية تكلم على هذا البيت وشرح قصته وكانت قامة يزيد بن المهلب
منذ اجتمع هو ومسلمة بن عبد الملك ثمانية ايام حتى اذا كان يوم الجمعة لاربع عشرة
بقيت من صفر سنة اثنتين ومائة فلما رأى الناس الدخان وقيل لهم احرق الجسر انهزموا
فقيل ليزيد قد انهزم الناس قال مما انهزموا قيل له احرق الجسر فلم يلبث احد قال قبحهم الله
بق دخن عليه فطار وكان يزيد لا يحدث نفسه بالهزيمة والفرار وجاءه من اخبره ان
حبيبا قتل فقال لا خير في العيش بعد حبيب قد كنت والله ابغض الحياة بعد الهزيمة فوالله
ما ازددت لها الا بغضا امضوا قدما قال اصحابه فعلمنا ان الرجل قد استقتل واخذ من
يكره القتال ينكص واخذوا يتسللون وبقيت معه جماعة حسنة وهو يزدلف فكلما
مر بخيل كشفها او جماعة من اهل الشام عدلوا عن سنن اصحابه فجاءه ابو رؤبة المرجي
وقال ذهب الناس فهل لك ان تنصرف الى واسط فانها حصن تنزلها ويأتيك مدد اهل
البصرة ويأتيك اهل عمان والبحرين في السفن وتضرب خندقا فقال له قبح الله رأيك
الي تقول هذا الموت أيسر علي من ذلك فقال له اني أخوف عليك اما ترى ما حولك من
جبال الحديد فقال له لا ابالي بها اجبال حديد كانت او جبال نار اذهب عنا ان كنت لا تريد
قتالا معنا واقبل على مسلمة لا يريد غيره حتى اذا دنا منه دعا مسلمة بفرسه ليركب فعطفت

فعطفت

فعطفت عليه خيل اهل الشام وعلى اصحابه فقتل يزيد بن المهلب وقتل معه اخوه محمد و
جماعة من اصحابه وقال القحل بفتح القاف وسكون الحاء المهملة وآخره لام بن عياش
الكلبي فلما نظر الى يزيد قال يا اهل الشام هذا والله يزيد لاقتلنه او ليقتلني وان
دونه ناسا فمن يحمل معي يكفيني اصحابه حتى اصل اليه فقال له ناس من اصحابه نحن نحمل
معك فحملوا باجمعهم فاضطربوا ساعة وسطع الغبار وانفرج الفريقان عن يزيد
قتيلا وعن القحل بن عياش بآخر رمق فأومى الى اصحابه يريهم مكان يزيد وجاء برأس
يزيد مولى لبني مرة فقيل له انت قتلته قال لا وفي اثناء الوقعة نظر الحواري بن زياد
الى برذون غابر فقال الله اكبر هذا برذون الفاسق ابن المهلب قد قتله الله ان شاء الله
تعالى فطلبوه فأتى مسلمة برأسه ولم يعرف الرأس فقال حباب لبني مهاطنتم فلا تظنوا
ان الرجل هرب ولكن قتل فقال مسلمة وما آية ذلك فقال اني سمعته أيام الاشعث وهو
يقول قبح الله ابن الاشعث هربه غلب على امره الا كان يغلب على الموت الا مات كريما
قلت ذكر الامير ابو نصر بن ماكولا في باب القحل والفحل ما مثاله اما القحل مثل الفحل الا ان
اوله قاف فهو القحل بن عياش بن حسان بن سمير ابن شراحيل بن عمرو قتل يزيد بن المهلب
وقتله يزيد ضرب كل واحد منهما صاحبه فقتله فلما اتى به مسلمة لم يعرف ولم ينكر فقيل
له مر برأسه فليغسل ثم ليعمم ففعل ذلك فعرفه فبعث به الى اخيه يزيد بن عبد
الملك مع خالد بن الوليد بن عقبة بن ابي معيط وقال خليفة بن خياط ولد يزيد بن المهلب
سنة ثلاث وخمسين وتوفي مقتولا يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من صفر سنة اثنتين
ومائة والله اعلم بالصواب ولما جاءت هزيمة يزيد بن المهلب ثمانين وثلاثين اسيرا
كانوا في يديه فضربوا اعناقهم منهم عدي بن ارطاه ثم خرج وقد قال له القوم
ويحك انا لا نراك تقتلنا الا ان اباك قد قتل ثم اقبل حتى البصرة ومعه المال والخزائن
وجاء المفضل بن المهلب واجتمع جميع اهل المهلب بالبصرة وقد كانوا تخوفون الذي كان
فاعدوا السفن البحرية وتجهزوا بكل الجهاز واراد معاوية بن يزيد ان يتأمر على آل المهلب
فاجتمعوا فامروا عليهم المفضل بن المهلب وقالوا المفضل اكبرنا سنا فانما انت غلام حدث
السن كبعض فتيان اهلك فلم يزل المفضل عليهم حتى خرجوا الى كرمان وبكرمان فلول
كثيرة فاجتمعوا الى المفضل وبعث مسلمة بن عبد الملك في طلب آل المهلب طلب الفلول فادركوهم
بعقبة بفارس فاشتد قتالهم فقتل المفضل وجماعة من خواصه ثم قتل آل المهلب عن
آخرهم الا ابا عيينة وعثمان بن المفضل فانهما نجوا ولحقا بخاقان ورتبيل وبعث مسلمة
برؤوسهم الى اخيه يزيد وهو على حلب فلما نصبوا خرج لينظر اليهم فقال لاصحابه هذا عبد
الملك هذا رأس المفضل والله لكأنه جالس معي يحدثني وقال ابن الطبري لما حمل برأس يزيد
بن المهلب طلب حسيبا وركب عظيما ومات كريما ولما فرغ مسلمة من حرب آل المهلب جمع
له اخوه يزيد ولاية الكوفة والبصرة وخراسان في هذه السنة ولما قتل يزيد بن المهلب
رثاه شاعر ثابت قطنة بمرات كثيرة حسنة منها قوله

كل القبائل بايعوك على الذي   تدعوا اليه وتابعوك وساروا

Copyright © King Saud University